تفسير سورة

التوحيد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi@alhadi.org

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

تفسير سورة التوحيد

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد ۝ الله الصمد ۝ لم يلد ولم يولد ۝ ولم يكن له كفوا أحد

سورة الإخلاص

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. وبعد.. فهذه نبذة من الكلام حول سورة التوحيد المباركة، وردت في كلام أسبوعي لنا مع بعض الإخوة، ثم استخرجت من أشرطة التسجيل، وأعيد النظر فيها، وجرى فيها قلم التقليم والتطعيم، تمهيداً لوضعها بين يدي القارئ الكريم، علَّه يجد فيها ما ينفع أو يجدي في الإيضاح، أو أكون فيه كناقل التمر إلى هجر.

وإنني إذ أستميح القارئ الكريم عـذراً عن القصور والتقصير.. أحب لفت نظره إلى ما يلي:

1ـ لقد تحدى القرآن الكريم البـشر جميعاً بأن يأتـوا بمثله، وأخبرهم بأنهم لن يتمكنوا من ذلك، وقال: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ**

يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]، والآية في سورة الإسراء، وسورة الإسراء مكية.

ويقول في تحـدٍ له آخـر: ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]، والآية في سـورة هود، وهي من السورة المكية..

وفي تحدٍ آخر يقول في سورة يونس: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[3]، وسورة يونس مكية.

ويقول تعالى في سورة البقرة: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[4]، وهي سورة مدنية، نزلت في أول الهجرة، حيث كانت أجواء التحدي بالإعجاز لا تزال تفرض نفسها.

2 ـ ونحن نعلم: أن السور الصغار كلها، باستثناء سورتين، وربما أكثر قد نزلت في مكة، وبعض هذه السـورة تتألف من عـشر كلمات، كـسورة الكوثر، وسـورة العصر هي أربع عشرة كلمة، وسـورة النصر تسـع عشرة

---

(1) الآية 88 من سورة الإسراء.

(2) الآية 13 من سورة هود.

(3) الآية 38 من سورة يونس.

(4) الآية 23 من سورة البقرة.

كلمة، وسورة الإيلاف ست عشرة كلمة، وسورة الإخلاص خمس عشرة كلمة، ثم يبدأ عدد كلمات السور القصار بالارتفاع، فإذا كانت هذه السورة كلها، ومعظم سور القرآن، حتى تلك التي فيها عشرات ومئات الآيات قد نزلت سورة سورة، وبعض السور الطوال كآل عمران مثلاً قد نزل منها دفعة واحدة ثمانون آية..

وإذا كانت الآيات القرآنية قد طرحت التحدي بكل سورة سورة من سور القرآن، سواء طالت أو قصرت.. فذلك يعني: أن الإعجاز القرآني ثابت في كل سورة سورة..

وقد جاء التحدي بالسورة حين كانت الأمة كلها بصدد كسر شوكة هذا الدين، ولو بهذا المقدار الذي يدَّعي العرب: أن لهم براعة فيه، فإذا ظهر عجزهم عن مجاراته، فهم عن سائر المعجزات، ولاسيما التكوينية منها أشد عجزاً، وأضعف كيداً.. ونحن نريد من شرحنا لأصغر السور القرآنية أن نجلي بعض وجوه هذا الإعجاز..

ومن الله نستمد العون والقوة.. ونسأله التسديد والتوفيق..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

لبنان ـ جبل عامل ـ عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) ـ قضاء بنت جبيل

حرر بتاريخ 10/12 /1437 هـ.ق.

الموافق 7/17/ 2016م.ش.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

الفصل الأول:

شأن النزول.. وأين نزلت..

شأن نزول سورة التوحيد:

روى الكليني بإسناده عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله «عليه السلام» قَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ الله «صلى الله عليه وآله»، فَقَالُوا: انْسِبْ لَنَا رَبَّكَ؟!

فَلَبِثَ ثَلَاثاً لَا يُجِيبُهُمْ. ثُمَّ نَزَلَتْ: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ إِلَى آخِرِهَا[1].

قال العلامة الطباطبائي:

«وفي الإحتجاج عن العسكري «عليه السلام»: أن السائل عبد الله بن صوريا اليهودي[2].

وفي بعض روايات أهل السنة: أن السائل عبد الله بن سلام، سأله «صلى الله عليه وآله» ذلك بمكة، ثم آمن وكتم إيمانه[3].

---

(1) الكافي للكليني ج1 ص91.

(2) الإحتجاج ج1 ص91 وفي هامشه عن التفسير المنسوب للإمام العسكري ص452 ـ 457 وبحار الأنوار ج9 ص286.

(3) سنذكر مصادر هذه الرواية قريباً.

وفي بعضها: أن أناساً من اليهود سألوه ذلك[1].

وفي غير واحدة من رواياتهم: أن مشركي مكة سألوه ذلك[2]»[3]. انتهى كلام العلامة الطباطبائي «رحمه الله».

وفي بعض رواياتهم عن قتادة: أن اليهود طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يصف لهم ربه، فلم يدرِ ما يرد قيلهم، فنزلت قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ حتى ختم السورة[4].

وفي نص آخر: أن إعرابياً سأل النبي «صلى الله عليه وآله» أن ينسب

---

(1) راجع: الدر المنثور ج6 ص410 و411 عن أبي الشيخ في العظمة، وأبي بكر السمرقندي، والطبراني في السنة، وعبد الرازق، وابن جرير، وابن المنذر في تاريخه، والترمذي، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم في السنة، والبغوي في فتحه، عن أبي بن كعب، وعن أبي الشيخ، والطبراني عن ابن مسعود.

(2) راجع: الدر المنثور ج6 ص410 و411 عن أبي ابن المنذر في العظمة، والحاكم، وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وأحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم في السنة، والبغوي في معجمه عن أبي بن كعب، وعن أبي الشيخ والطبراني، عن ابن مسعود.

(3) تفسير الميزان للطباطبائي ج20 ص390.

(4) راجع: الدر المنثور ج6 ص411 عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر.

لهم ربه[1].

وحول رواية كتمان ابن سلام إيمانه نقول:

تصرح بعض الروايات، وهي مروية عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام: أن عبد الله بن سلام بعد أن شاور أحبار اليهود انطلق إلى مكة، فالتقى النبي «صلى الله عليه وآله» وهو بمنى، والناس حوله، فقام مع الناس، فلما رآه «صلى الله عليه وآله»، قال له: أنت عبد الله بن سلام؟!

قال: نعم.

ثم ذكرت الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» استدناه، فدنا منه، فناشده النبي «صلى الله عليه وآله» إن كان يجده في التوراة، فطلب منه ابن سلام: أن ينعت ربه، فجاء جبرئيل، فقال: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ.

فأسلم ابن سلام، «ثم انصرف إلى المدينة، وكتم إسلامه»[2].

ونلاحظ ما يلي:

1 ـ قد يتساءل المرء عن سبب تأخر نزول السورة إلى ثلاثة أيام!! مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قادراً على إعطاء الجواب الكافي والشافي، بالبيان الوافي من دون تأجيل..

---

(1) راجع: الدر المنثور ج6 ص410 عن أبي يعلى وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي.

(2) الدر المنثور ج6 ص410 عن أبي حاتم، والطبراني، وأبي نعيم في الحلية.

ويمكن أن يجاب:

بأنه «صلى الله عليه وآله» بتوجيه وتسديد من الله سبحانه يريد أن يفهمهم عملياً: أنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..

2 ـ بالنسبة للأقوال المختلفة، والروايات المتعددة عن سبب ومناسبة نزول هذه السورة المباركة نقول:

قد يتعدد طلب الناس منه «صلى الله عليه وآله»: أن يصف لهم ربه، ويتعدد من ثم ـ نزول هذه السورة.. ولهذا نظائر في نزول السور والآيات..

ويمكن أن تنزل في مكة تارة، وفي المدينة أخرى جواباً لأعرابي، وجواباً لطلب المشركين في مكة، وجواباً لطلب اليهود في المدينة، فتصح جميع الروايات، أو يصح بعضها، فإن المهم هو نزول السورة لهداية الأمة بأسرها، لا لهذا أو لذاك.

3 ـ ما ادَّعاه حفيد ابن سلام، من أن جده قد أسلم في مكة وكتم إسلامه، غير ظاهر الوجه.

فأولاً: إن روايته تدَّعي: أن ابن سلام التقى بالنبي «صلى الله عليه وآله» في منى، والناس حوله «صلى الله عليه وآله».. وقد أسلم هو على يدي النبي «صلى الله عليه وآله» في نفس ذلك المجلس، كما هو ظاهر الرواية.. فهل لم يلاحظ أحد، أو فقل: لم يسمع أحد ممن كان حاضراً كيف أن ابن سلام يشهد الشهادتين في ذلك المجلس؟!

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» اختلى بابن سلام حين استدناه، وكلَّمه على انفراد لَنَقَلَ بعض الأصحاب خبر هذه الخلوة على الأقل.. لاسيما، وأن الخلوة

بيهودي، إذا كان مثل ابن سـلام تثير الفضول، وربما أثارت الـريب لدى بعض الناس..

وإذا كان أهل ذلك المجلس قد رأوا وسمعوا، فلماذا لم يذكروا ذلك لغيرهم، حتى بقي إسـلامه مكتوماً، وابن سـلام من أعيان اليهود، ومن المعروفين فيهم؟!

ثانياً: إن حفيد ابن سلام يدَّعي: أن ابن سلام قد كتم إسلامه، فلا بد أن يكون هذا الحفيد الذي لم يكن قد ولد بعد قد سمع ذلك من ابن سلام أو من غيره.. إلى أن ينتهي الأمر إلى ابن سلام نفسه، فإن هذه الدعوى لا يعرف صدقها إلا من صاحبها، لأنه إنما يتحدث عن أمر مكتوم حسب زعمه، ويدَّعي أنه نجح في كتمانه.

وهو يدعي لنفسه أمراً لا مجال لتصديقه فيه.. فإنه لم يكن مأموناً على صحة ما يدَّعيه، لأنه كان من المناوئين لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يبايعه، مع أنه قد عرف.. بل الظاهر: أنه شهد يوم الغدير، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل المنادين في البلاد والقبائل، يطلب منهم الحج معه في آخر سني حياته.

ولذا بلغ عدد الحجاج في تلك السنة من مختلف بلاد المسلمين، وقبائلهم وأحيائهم عشرات الألوف، وقد حضر البيعة لعلي يوم الغدير أكثر من مئة ألف بكثير. مع أن قسماً من الحجاج، إما بقوا في مكة، أو كان لهم مسير آخر إلى بلادهم.

ومهما يكن من أمر، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد مهد ليوم الغدير، وما كان عقد العزم عليه من البيعة لعلي «عليه السلام» خير تمهيد.

وإن لم يكن ابن سلام قد حج تلك السنة، ولم يحضر ما جرى في الغدير، فلا شك في أنه قد سمع ما جرى من العشرات، أوالمئات.

ومع غض النظر عن ذلك، فلا شك في أنه قد عرف، وسمع الكثير الكثير من أقواله «صلى الله عليه وآله» في حق أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفضله، ومقامه عند الله، طيلة فترة ما بعد الهجرة، وإلى حين وفاته «صلى الله عليه وآله».. فكيف ولماذا يرفض مبايعة علي «عليه السلام»، ويرفض المشاركة في حروبه ضد أعدائه؟!

ومن لا يؤمن على أمر هو من أعظم الأمور أهمية عند الله ورسوله، وهو الإمامة.. فيتنكر لإمامه، ويرفض البيعة له، هل يؤمن جانبه، من أن يكون سعيه وهمّه هو اكتساب فضيلة تقدم إسلامه على بعض أقرانه، فيزعم أنه أسلم في مكة قبل هجرة النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

4 ـ والأشر والأضر: هو ما تقدم عن قتادة، من أن اليهود طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يصف لهم ربه، فلم يدرِ ما يقول؟!

إن هذا الكلام هو من مفردات الهرطقة، بل الزندقة.. فإن من يعتقد بأن النبي «صلى الله عليه وآله» جاهل ـ والعياذ بالله ـ إلى هذا الحد، لا يستحق حتى أن يسمى مسلماً..

وقد كان الأجدر به أن يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد بتوجيه من الله: أن يأتي الجواب من الله مباشرة، ليدلهم على أنه لا يقول شيئاً من دون إذن

منه تعالى، بل يلتزم بالوحي، الذي قال عنه سبحانه: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

ماذا يريد المشركون من آلهتهم؟!:

كأن أولئك الذين طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله»: أن يصف لهم ربه، سواء، أكانوا مشركين أو يهود، أو غيرهم، أرادوا أن يقولوا: إننا نعبد آلهة نراها، ونشير إليها، ونلمسها، ونتواصل معها عن قرب، وعن مشاهدة، ونعرف عنها كل شيء، ونعبدها، ونقدم لها القرابين، وننذر لها النذورات..

ولكنك يا محمد تدعونا لعبادة إله لا نراه، ولا نعرف شيئاً عنه، ولا نتخيل شكله، وحجمه، وتركيبته، ولا نعرف كيف وبماذا نتعامل معه..

فكانت سورة التوحيد هي الجواب الكافي والشافي على هذا المنطق غير السديد، وغير المفيد.

وبيان ذلك ضمن النقاط التالية:

1 ـ إن أعظم شيء يواجهه البشر في حياتهم بمختلف مجالاتها، وحالاتها، وهم بأمس الحاجة إليه، وإلى التعامل معه: هو تحديد الجهة أو مصدر الهيمنة، ومن تجب الطاعة والانقياد له، أو فقل: من هو الإله والرب الآمر الناهي، والحاكم والمهيمن، ومن بيده القرار، ويجب أن يخاف ويرجى، وما هي سياساته، وحدود حاكميته، وهل هو يثيب ويعاقب، ويحرم ويعطي؟!

---

(1) الآية 3 و4 من سورة النجم.

إن هذه المسألة هي محور اهتماماتهم، وبها ترتبط سعادتهم وشقاؤهم، وهي ضمانة نجاتهم، أو من خلالها يكون ـ بزعمهم ـ يكون شقاؤهم وبلاؤهم.

ولكن الناس لم يرضوا بما جاءهم به أنبياؤهم، ولم يخضعوا للمعجزات التي أظهروها لهم، ولا استجابوا لقضاء الفطرة، وحكم العقل، فاختار قسم منهم الشرك على التوحيد، ورضوا بأن يعبدوا الأخشاب والحجارة وسواها على عبادة الله الواحد القهار.

إن هؤلاء عبدوا آلهة من أهم صفاتها جهلها، وعجزها، وفقدان الإحساس لديها، وأنها لا عقول لها، ولا مشاعر، ولا وجدان، ولا إدراك، فهي فاقدة لجميع أوصاف الجلال والجمال، وليس لديها شيء من مظاهر الكمال..

وإنما اختار هؤلاء معبودهم بهذه الحال المزرية، لأنهم لم يريدوا أن تسمو بهم عبادتهم لها إلى درجات العزة والكرامة، بل أرادوها وسيلة لمآربهم، وشهواتهم وملذاتهم، وأرادوها أن تكون مطيعة لهم، مستجيبة لمطالبهم، قاضية لحاجاتهم، تشفي مريضهم، وتفك أسيرهم، وتغني فقيرهم، وتحل مشاكلهم.

ولكن ليس لهذه المعبودات أن تحاسب، وتثيب وتعاقب، بل ليس لها أن تعاتب أيضاً.

كما أنها ليس لها أن تقرر، أو أن تشارك في التقرير والتدبير، ولو بالرأي والتمني.

ولأجل ذلك اختاروها صماء عمياء، بكماء، وعاجزة، وجاهلة، وبلهاء.. وليس فيها أي أمل أو رجاء، ولا تلمح فيها سوى النقص والفاقدية لكل شيء، فلا كمال، ولا جمال، ولا جلال، بل سقوط، ونقص واختلال..

اختاروها على هذه الصفة ليروا أنفسهم في فسحة من أمرهم في تخير ملذاتهم، مهما كانت تافهة ورخيصة، ومغموسة بالمآثم، أو ثمرة عفنة من ثمرات الجرائم والموبقات..

هم يريدون الإله خادماً خاضعاً لهم، بلا عقل، ولا إرادة ولا اختيار، ليرضوا شعورهم الغامض بالحاجة إلى الإله.. وليعيشوا على هواهم، كما قلنا.

وأما اليهود، فقد وافقوا المشركين في كثير مما ذكرناه، فاختاروا أيضاً عبادة الله، لكن بشرط: أن لا يتدخل في شؤونهم، ولا يحاسب، ولا يعاقب، ولا يطالب.. وقالوا: إننا نعبد إلهاً يداه مغلولتان، فهو عاجز حتى عن رزق عباده.

وادَّعوا أيضاً: أنهم هم شعب الله المختار، وقد خلق الكون والحياة والشجر والبقر، والحجر، والبشر لخدمتهم، وتلبية حاجاتهم..

فلا فرق في المآل والنتيجة بين المشركين، وبين اليهود في نظرتهم إلى الإله ودوره.

وقد رأينا: كيف أن الروايات عند السنَّة والشيعة في شأن نزول هذه السورة تذكر: أن اليهود والمشركين، وأعرابياً قد يكون مشركاً أيضاً قد طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن ينسب لهم ربه، ليروا إن كان على مزاجهم، وموافقاً لنظراتهم، ولما يتوخونه منه ليقبلوه؟! أم أنه إله يحاسب ويطالب، ويثيب ويعاقب؟! ليرفضوه.

سورة القيامة فضحتهم:

وسورة القيامة فضحت المنكرين للبعث والمعاد في نواياهم، ودوافعهم لهذا الإنكار، فقد قال تعالى: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾[1].

فقد صرحت الآية الأخيرة: بأن الهدف من إنكار البعث والنشر: أنهم يريدون أن يُكرِّسوا معنى الحرية المطلقة والعشوائية لأنفسهم، لكي يكونوا أحراراً في ارتكاب المآثم والموبقات، فلا يقيدهم شيء، ولا يزعجهم تهديد ولا وعيد.

وبذلك يكونون قد أزالوا الإله العالم، والقادر والمهيمن، والرازق، والخالق عن دائرة التأثير، فإن إنكار المعاد يفضي إلى عدم وجود إله يحاسب ويعاقب من موقع القدرة والعلم، والهيمنة، وبالتالي تسقط دعوى أن الله الحق في مطالبة الناس بإطاعة أوامره، والانزجار بزواجره.. وأن هناك بعثاً ونشراً، وجنة وناراً، ويتحول الإله القادر إلى إله عاجز مغلول اليدين، لا تجدي أوامره وزواجره نفعاً، ولا تقدم ولا تؤخر.

وبذلك لا يبقى مبرر لها، ولا مجال بعد هذا لادّعاء: أن الله تعالى يريد إيصال البشر إلى كمالاتهم، وإلى السعادة في الدنيا والآخرة.

وبذلك يصبح الإنسان بلا وازع ولا رادع.. وتصبح نفسه وشهواته،

---

(1) الآيات 1 ـ 5 من سورة القيامة.

وأنانياته، وعصبياته معبوده الحقيقي، فهو الذي يقرر، ويدبر، ويتصرف، من دون حاجة إلى مبرر.

وبذلك يسهل عليه إنكار وجود إله قادر عليم، ورحيم، وحكيم، وخالق ورازق.. بل يعتقد بوجود إله سامع له مطيع، كالحمل الوديع..

ولم يعد هناك كبير فرق بين الله الخالق، وبين الأحجار والأخشاب التي يعبدونها. بل يخرج الإله من ذاته ليسكن شخصية العابد، ويصبح العابد هو المعبود، والعياذ بالله.

وهذه نفسية إبليسية جسَّدها إبليس بامتناعه عن السجود لآدم، لأنه كان يرى أنه يجب أن يكون هو المسجود له، وليس آدم «عليه السلام»..

سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن:

وروي من طرق السنة والشيعة: أن سورة «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ» ثلث القرآن.

قال العلامة الطباطبائي: إن أهل السنَّة رووه عن عدة من الصحابة، كابن عباس ـ وقد مر ـ وأبي الدرداء، وابن عمر، وجابر، وابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، ومعاذ بن أنس (!!)، وأبي أيوب، وأبي أمامة وغيرهم، عن النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

وورد ذلك أيضاً في عدة من الروايات عن أئمة أهل البيت «عليهم

---

(1) الميزان (تفسير) ج20 ص390.

السلام»[1].

وقال أيضاً: إنهم وجهوا ذلك «بوجوه مختلفة، أعدلها: أن ما في القرآن من المعارف تنحل إلى الأصول الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد.. والسورة تتضمن واحداً من الثلاثة، وهو التوحيد»[2].

وقيل: الوجه في ذلك: أن القرآن ثلاثة أثلاث: أحكام، عقائد، وتاريخ.. لأن القرآن تعرض لمبدأ الخلق، ومعاد الخلق، وما بينهما من الحياة الدنيا، وما فيها من مشكلات، ومنغصات، ومفرحات..

وقد تحدثت سورة التوحيد عن المبدأ، وله صلة بالمعاد، وصلة بما بينهما، لأنه تعالى هو الذي يرعى ويرزق، ويخلق، ويعطي ويمنع، وما إلى ذلك.. كما ويرفده بالتشريعات والهدايات من خلال الأنبياء.

وهذا أيضاً مآله إلى ما ذكره العلامة الطباطبائي كما هو ظاهر..

وقد ناقش بعض الإخوة الأكارم هذا الوجه، وما ذكره العلامة الطباطبائي: بأن ما قاله يلزم منه: أن تكون السور الأخرى، المشتملة على أصل، أو أكثر من الأصول الثلاثة: أن يعدل ثلث القرآن، أو ثلثيه، أو القرآن كله.. ولاسيما في السور المساوية لسورة التوحيد في قصرها، وعدد آياتها..

ونجيب:

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

أولاً: إنه ليس في السور القصار المساوية لسورة التوحيد سورة تشتمل على أحد الأصول الثلاثة، فراجع سورة: العصر، الإيلاف، والكوثر، والنصر.

ثانياً: إن لسائر السور فضلاً، ولكنها مشتملة على أمور أخرى في سائر آياتها، تنضم إلى ما فيها من ذكر لأصل أو أكثر من الأصول الثلاثة، لكي تستفيد منه في تكريس تلك المعاني المنضمة، كما لو أريد الحث على الإخلاص في العبادة، أو أريد بيان قلّة عقول عباد غير الله، أو ما إلى ذلك، مما يجعل من ذكر أصل التوحيد، أو المعاد فيها مثلاً، عاملاً مساعداً لعامل ولهدف تربوي، أو غيره.

الفصل الثانـي:

قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ..

بداية:

ما زلنا نذكِّر القارئ الكريم بحقيقة أننا أحقر وأعجز من أن نظن بأنفسنا أننا ندرك معاني القرآن، ونهتدي إلى حقائقه ودقائقه، غير أن ذلك لا يمنع من بذل المحاولة لنيل بعض يسير من ظواهره، أو إشاراته بالاستفادة:

أولاً: من النصوص التي وصلتنا عن أهل البيت «عليهم السلام»، بعد التأكد من سلامتها من أي محذور سندي، أو عقلي أو إيماني، أو ما إلى ذلك.

ثانياً: إن الآيات القرآنية الكثيرة توجه الناس إلى تدبُّر القرآن، والتأمل في معاني آياته..

قال عز وجل: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3].

---

(1) الآية 24 من سورة محمد.

(2) الآية 29 من سورة ص.

(3) الآية 2 من سورة البقرة.

وقال: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وآيات كثيرة أخرى..

ومن المعلوم: أن التدبر، والهداية، والإبانة، والبشرى، وغير ذلك، إنما هو من خلال الأخذ بظواهره، فلو لم تكن هذه الظواهر حجة لما ساغ اللوم لمن لم يأخذ بها..

مع التأكيد على أنه إنما يتم ظهور الكلام في أي معنى، ويعتبر حجة ودليلاً عليه بعد الأخذ بنظر الاعتبار سائر القيود، والحدود، والأهداف، والبيانات، والمناهج التي رسمها قائل ذلك الكلام، وألزم مخاطبيه بعدم تجاوزها.

وبعد هذه البداية نشرع في الحديث عن ظواهر آيات هذه السورة المباركة ملتزمين وملزمين أنفسنا برعاية الحدود والقيود المشار إليها، اللفظية منها، والعقلية وسواها.. فنقول:

قلْ:

تبدأ هذه السورة المباركة بكلمة «قل»: وقد وردت هذه الكلمة أيضاً في أول سورة الناس، والفلق والكافرون.. وفي موارد وآيات أخرى..

وربما توهم بعض الناس: أن كلمة «قل» ليست قرآناً، بل القرآن ما يأتي بعدها..

---

(1) الآيتان 1 و 2 من سورة النمل.

وقد أشرنا في بعض هذه السور المشار إليها إلى بطلان هذا التوهم، وسنعيد بعض ما قلناه، ونضيف إليه ما يقتضيه المقام:

وقد يُتوهم أيضاً: أنه لا حاجة إلى كلمة «قل» في هذه السورة على الأقل، لأن ما ذكر بعدها إلى آخر السورة، مما تحكم به العقول السليمة، وتفرضه الأدلة الصريحة والصحيحة.

ونجيب عن هذا وذاك: بما نورده ضمن النقاط التالية:

أولاً: لو حذفنا كلمة «قل» من أول سورة الكافرون، والفلق، والناس.. لتغير اتجاه الكلام، وصار له معنى آخر، غير مرضي، ولا مستساغ، لأن المقصود بالخطاب في سورة الكافرون هو النبي، فالنبي هو القائل: لا أعبد ما تعبدون الخ..

لكن إذا حذفت كلمة «قل» يصير القائل هو الله تعالى: فهل يظن عاقل: أن يكون من المتوقع أن يعبد الله الأصنام مثلاً، ليحتاج إلى نفي ذلك عن نفسه؟!

وهكذا نقول في سورة الفلق، وسورة الناس، فيكون المتعوذ هو البشر، مع وجود كلمة «قل».. ولكنك إذا حذفت كلمة «قل»، صار المتعوذ برب الفلق، وبرب الناس هو الله.. وهذا معنى فاسد..

فدلنا ذلك على بطلان ادِّعاء: أن كلمة «قل» ليست قرآناً، حتى في سورة التوحيد أيضاً، لأنها جاءت على نفس النسق، وبنفس السياق.

ثانياً: إنك إذا كتبت رسالة لصديق، تقول له فيها: قل لفلان: إفلح الأرض، وقل لفلان: اعط ابني هذا القدر من المال، فلا يعني ذلك: أن كلمة «قل»

ليست جزء من رسالتك، بل هي جزء منها، ولكنها ليست جزءاً من الأرض التي تريد فلاحتها، ولا جزءاً من المال الذي تريد إعطاءه لابنك..

ثالثاً: إن نفس أن يكون ما بعد «قل» قد جاء إبلاغه بأمر إلهي، يعطيه المزيد من القداسة، والبركة، والأثر الروحي الجميل في النفس، ويعطيه رونقاً، ونفحة غيبية غامرة، وهو ينعش الروح، ويربط على القلب، ويرضي النفس.

رابعاً: لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» بادر منذ اللحظة الأولى وقال لهم: ﴿**اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد**..﴾ لقالوا له: إنك تأتي بهذا من عند نفسك.. ولا ندري مدى صحة أقوالك هذه!! وأنت لديك عقل، ونحن لنا عقول.. فلماذا تفردت أنت بهذا الوصف للذات الإلهية؟!

ولماذا لم يدرك المشركون بعقولهم، وهم كثرة هائلة، ما أدركته أنت؟!

وما الذي يضمن لنا أنك مصيب فيما قلته؟!

ولعل الجماعة حين يتشاركون، وتتعاضد عقولهم يكونون أقرب إلى الصواب من عقل رجل واحد، فإن احتمال خطئه يكون أقوى.

فكان الجواب الحاسم لهذه الترهات: أن الله تعالى هو الذي يقول، وليس النبي «صلى الله عليه وآله».. وقد انتظر «صلى الله عليه وآله» ثلاثة أيام حتى جاءه الوحي الإلهي بهذه الآيات الشريفة.

فإن كان ثمة من شك، فينبغي أن يكون فيما يقوله البشر، حيث تتدخل الأهواء، والمصالح، والتسويلات الشيطانية، في أقوالهم وأفعالهم..

وقد رأينا: أن ما جاء من عند الله هو الذي تتوافق عليه العقول السليمة،

وتدل عليه الشواهد القاطعة، والبراهين الساطعة، وليس فيه أي أثر لهوى نفس.. أو مخالفة فطرة، أو وجدان.

والشاهد على ذلك: هو نفس ما وصفته هذه السورة الشريفة وقررته.. فهو سبحانه الأحد المتفرد في الكمال والغنى، وليس له شريك، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الغني عن الصاحبة والولد، وهو الذي لا كفؤ له..

فهذه الأوصاف لا توافق الأهواء، ولا يرغب اليهود والمشركون في أن تكون هي صفات معبوداتهم، لأنها مظاهر قوة، وهيمنة، وحاكمية، وتفرد. ولأنها تجعل هذا المعبود هو مصدر الكمالات والنعم، للبشر، ولجميع الموجودات، وهو القوي المطلق، والغني المطلق، والحاكم المطلق، وهو مصدر الخيرات والعطاءات دون كل أحد.

لكن ما جاء به المشركون واليهود هو المتأثر بالأهواء، وهو الذي تمجه العقول، وترفضه الفطرة، ويأباه الوجدان.. لأن اليهود والمشركين يريدون إلهاً عاجزاً، يأتمر بأمرهم، ويلبي مطالبهم، ويفسح لهم المجال لتجاوز كل الحدود والقيود.

يريدونه إلهاً خاوياً من صفات الكمال، والجلال والجمال، يريدونه إلهاً محكوماً لا حاكماً، ومأموراً لا آمراً.

قُلْ هُوَ:

وتأتي كلمة «هو» بعد كلمة «قل».. مع أنه كان يمكن أن يقول: قل الله أحد.. فلماذا أضاف كلمة هو؟!

ويجاب:

بأن كلمة «هو» هي ضمير الشأن. أي القضية، أو القصة، أو نحو ذلك.. وفائدته إظهار الاهتمام بالأمر الذي يأتي بعد هذا الضمير. وأية قضية أعظم وأهم وأجل من موضوع أن الله أحد صمد.. فإن هذا هو التوحيد الخالص والتام؟!

فـ «هو» مبتدأ والجملة بعدها خبرها..

كأن المطلوب: هو الإشارة بكلمة «هو» إلى أن الله تعالى يتحدث عن إلهٍ لا تنال عقولنا وأوهامنا معانيه، ولا يتسع، ولا يستوعب مجالاته ومناحيه، فأشار تعالى إلى هذه الجوانب العميقة والدقيقة، والخفية بما يناسبها، لكي يعرف المغرورون والمتطفلون، أنهم يحاولون باطلاً، فإنهم أعجز من أن ينالوا حقائق بواطنها، ودقائق خفاياها؟!

فكلمة «هو» تفيد تعظيم هذا الأمر، وتفخيمه، والإلماح إلى صعوبة إدراك حقائقه ودقائقه..

وتفيد أيضاً: أن الخفاء والإبهام، في الذات الإلهية لا يرتفع بمعرفة بعض صفات الجمال والكمال، فإننا أعجز من أن يمكننا ذلك..

وهذا هو الفرق بين الذات الإلهية التي لا تدرك كنهها العقول.. وبين آلهة المشركين، التي يرونها، ويعرفون حقائقها، ويدركون فقرها، وعجزها، ونقصها.. بل قد يحطمها عابدها أو يحرقها، أو يأكلها، إن كانت مما يؤكل، كالتمر مثلاً..

وقد يسأل سائل، فيقول: إذا كانت كلمة «هو» مبتدأ وخبره الجملة بعده،

فأين الضمير الرابط الراجع للمبتدأ؟!

ويجاب:

بأن الخبر الذي بعد كلمة «هو» نفس كلمة هو في المعنى، فهو لا يحتاج إلى ضمير رابط، لأنه يكون من قبيل: زيد غلامك..

والذي يحتاج إلى رابط هـو ما كان من قبيل: «زيد أبـوه منطلق»، فإن زيداً والجملة بعده يدلان على معنيين مختلفين، فيحتاج إلى رابط بينهما، وهو الضمير في «أبوه».

وقد أعربت الجملة والكلمات بعد كلمة «هو» بأنحاء مختلفة، لا نرى ضرورة للدخول في تفاصيلها.. وفي بعضها تكلفات، وتمحلات ممجوجة، وغير مستساغة.

ونرجح: أن تكون عبارة ﴿**اللهُ أَحَدٌ**﴾ مبتدأ وخبراً، وتكون الجملة خبراً لكلمة «هو»..

ولا حاجة إلى الرابط بين كلمة «الله»، وبين كلمة «أحد»، لأن معناهما واحد، كما أشير إليه آنفاً.

اللهُ أَحَدٌ:

ونصل إلى قوله تعالى: ﴿**اللهُ أَحَدٌ**﴾.

فكلمة «الله» هي اسم للذات الإلهية الجامعة لكل صفات الكمال، والجمال.

وكلمة «أحد» تحتاج إلى بعض البسط في القول، فنقول:

إن الصفات التي توصف بها الذات الإلهية على نحوين:

الأول: ما هـو خاص به تعالى، ولا يصح إطلاقه على غـيره، مثل وصفه بالأول، لأن وجود ثانٍ له يخرجه عن صفة الألوهية، وكذا وصف الآخر، والأحد، واللامتناهي، وواجب الوجود بالذات، وما إلى ذلك..

فلو وصفت غيره تعالى باللامتناهي (من جميع الجهات طبعاً) تكون قد نقضت هذا الوصف فيهما معاً.. لأن التعدد يفرض التناهي منهما معاً.. لأن التعدد يحتاج إلى التمايز، ويحصل ذلك بوجـود حـد ينتهي إليه كل منهما، فيصيران متناهيين بنفس هذا الحد..

الثاني: ما يصح وصف الذات الإلهية به، كما يصح وصف غيره به أيضاً، مثل رؤوف رحيم، قوي عزيز، حليم كريم، حفيظ عليم، وغير ذلك..

وصحة وصف الذات الإلهية، والبشر أيضاً بهذه الأوصاف لا تعني التكافؤ بين الذات الإلهية، وبين البشر، فإن ذلك ينفيه قـوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

كما أن المبرر لهذا التوصيف فيهما: هو اشتراكهما في بعض الآثار، ولو بدرجة بالغة الضعف في البشر، وبمنتهى الكمال في الذات الإلهية، فالله قوي وقادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء..

أما قدرة البشر، فهي في نطاق محدود، وتكون في غاية الوهن والقصور، وأقصى ما عندهم: أن يتمكن أحدهم من رفع حجر قد يصل وزنه إلى ثلاث مئة كيلوغرام مثلاً..

ولكن ذلك لا يعني أن سنخ قوة البشر هو من سنخ قوة الله أيضاً، فإن

ذلك باطل.. فإن البشر يستمدون قوتهم من الفيض الإلهي، فهو قوي بغيره، والله قوي بذاته..

بين أحد وواحد:

ثم إن الله تعالى قد وصف بالأحد، ووصف أيضاً بالواحد..

والمراد بالأحدية: التفرد المطلق في جميع صفات الكمال، والغنى، وفي كل شيء.. ولا يمكن أن يوصف بالأحدية غير الله، لأن وجود من يمكن وصفه بالأحدية غيره تعالى ينقض الأحدية الإلهية، ويزيل التفرد عنه تعالى.. إذ لا يمكن أن يكون اثنان متفردين.

أما وصف الواحد، فإذا أطلق على الله، فإنه يكون بمعنى الأحد، لأن هذا هو واقع ذاته تعالى.

قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[1]. ولو أريد بالواحد في هذه الآية وسواها إدخاله تعالى في الأعداد وقعنا في الكفر، كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾[2].

ولكن إذا أطلقت كلمة واحد على غير الله، كانت مبدأ للعدد، أي صار لها اثنان، ثم ثلاثة، وأربعة..

وقد روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» قوله: الأحد الفرد المتفرد،

---

(1) الآية 4 من سورة الزمر.

(2) الآية 73 من سورة المائدة.

والأحد والواحد بمعنى واحد، وهو المتفرد الذي لا نظير له، والتوحيد: الإقرار بالوحدة وهو الانفراد..

إلى أن قال: إن بناء العدد من الواحـد، وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على الواحد، بل يقع على الإثنين، فمعنى قوله: ﴿اللهُ أَحَدٌ﴾. أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه، والإحاطة بكيفيته، فرد بإلهيّته، متعال عن صفات خلقه[1].

أي أن الواحد ليس من الأعداد، بل من مكونات الأعداد، فيما الاثنان من الأعداد.. وإنما يتكون العدد من الواحد..

ومعنى هذا: أننا حين نصف الله تعالى بالواحد، فإن ذلك لا يدخله في باب الأعداد، بل تكون بمعنى الأحد المتفرد في ذاته وصفاته.

المتفرد في ذاته وصفاته:

قد ظهر: أننا حين نصف الله تعالى بأنه المتفرد في ذاته، وفي صفات الغنى والكمال، والجمال والجلال فذلك يعني: أن غيره تعالى ليس متفرداً، وهذا هو النقيض، لأن النفي نقيض الإثبات.. لكن إثبات بعض الصفات له تعالى لا يعني ثبوت أضدادها لغيره.. بل هو أمر مسكوت عنه، فقد يكون وقد لا يكون، وهذا واضح..

---

(1) بحار الأنوار للمجلسي ج3 ص222.

وجهان يثبتان، ووجهان لا يجوزان:

وروي أن أعرابياً قال لأمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الجمل: أتقول: إن الله واحد؟!

فحمل الناس عليه، وقالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسُّم القلب؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم.

ثم قال: يا أعرابي، إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام:

فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه.

فأما اللذان لا يجوزان عليه:

فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: إنه ثالث ثلاثة؟!

وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز قوله على الله، لأنه تشبيه، وجلَّ ربنا عن ذلك..

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه:

فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا.

وقول القائل: إنه عز وجل أحديُّ المعنى، يعني به: أنه لا ينقسم في

وجود، ولا عقل، ولا وهم.. كذلك ربنا عز وجل.. [1].

(1) التوحيد للصدوق ص83 والخصال للصدوق ص2 ومعاني الأخبار ص5 وبحار الأنوار ج3 ص206 والبرهان (تفسير) ج1 ص367.

الفصل الثالث:

اللهُ الصَّمَدُ..

اللهُ الصَّمَدُ:

ثم تأتي الآية التالية لتقول: ﴿**اللهُ الصَّمَدُ**﴾. وقد رأينا أنه تعالى قد أورد هذه الآية من دون واو تعطفها على سابقتها، ثم عقبها بقوله: ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾ من دون واو أيضاً. وهي جمل ثلاث..

ولكنه عقبها بجمل ثلاث ربط بينها بواو العطف، وهي قوله: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾، فإن الواو قد ربطت بين الجملتين..

كما أن الجملة الثالثة وهي قوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ قد ارتبطت بالجملة التي قبلها بالواو أيضاً.

وحصيلة ذلك: أن الجمل الثلاث الأولى لم تربط الواو بينها.. والجمل الثلاث الأخيرة كانت الواو هي التي ربطت بينها.

مع ملاحظة: أن جملة: ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾ عدت مع الآيتين اللتين سبقتها، فكانت معها، من دون واو، ثم عدَّت مع الآيتين اللتين تلتها.. وكانت الواو هي التي ربطت بينها.

فلماذا كان ذلك، وما السبب؟!

ونجيب:

بأن الأحد، والصمد هما الأمران المحوريان في هذه السورة المباركة، حتى لقد روي: أن ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ كلها تفسير للصمد[1].

ولعلنا نتعرض لهذا الأمر حين ننتهي في كلامنا إلى الآيات المشار إليها.

غير أننا كنا قد ذكرنا: أن المراد بالأحد: هو التفرد في الغنى، وفي جميع معاني الكمال، وفي كل معاني الجلال والجمال.

أما الصمد، فقد فسر بتفاسير عديدة، فقد قيل:

ـ إنه هو الذي بلغ الحد الأقصى في السؤدد.

ـ أو هو الذي انتهى في العظمة إلى أبعد مدى.

ـ أو هو الذي يصمد إليه ـ أي يقصد ـ في الحوائج كلها، ويطلب منه، ويدعى، ويخاف ويرجى، لأن الله ـ كما يقول العلامة الطباطبائي ـ هو الموجد لكل ذي وجود.. فما سواه يحتاج إليه، فيقصده كل ما صدق عليه أنه شيء غيره في ذاته، وصفاته، وآثاره، قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[2].

وقال وأطلق: ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**﴾[3]. الخ..»[1].

---

(1) راجع: الميزان (تفسير) ج20 ص391 عن التوحيد للصدوق.

(2) الآية 54 من سورة الأعراف.

(3) الآية 42 من سورة النجم.

إلى أن قال: «..ومن هنا يظهر وجه دخول اللام في الصمد، وأنه لإفادة الحصر.. فهو تعالى وحده الصمد على الإطلاق.. وهذا بخلاف «أحد» في قوله: ﴿**اللهُ أَحَدٌ**﴾، فإن أحداً بما يفيده من معنى الوحدة الخاصة، لا يطلق في الإثبات على غيره تعالى، فلا حاجة فيه إلى عهد أو حصر»[2].

فظهر: أن الأحد والصمد قد جمعتا بين ما دل على حقيقة الذات، لأن معنى الأحد هوالتفرد في حقيقة الذات الإلهية.. وبين الصفات في الثانية، فإن كلمة الصمد بملاحظة ما قيل في معانيها، ناظرة لصفاته تعالى، فإن من خلق الأشياء كلها، ويقصد في كل الحوائج لا بد أن يكون غنياً، كريماً، رحيماً، قادراً، عليماً، حكيماً، مدبراً، وما إلى ذلك.. فكونه تعالى صمداً يقتضي جامعيته تعالى لجميع صفات الكمال، ومنها صفات الفعل، وهي التي تنتزع عن مقام فعله، وتنسب إليه سبحانه..

الصمد: الذي لا جوف له:

عن أنس، والضحاك: أن المراد بالصمد: من ليس بأجوف، وقد رَوَيَا ذلك عن النبي «صلى الله عليه وآله»[3].

---

(1) الميزان (تفسير) ج20 ص388.

(2) الميزان (تفسير) ج20 ص388.

(3) الدر المنثور ج6 ص410 عن الطبراني في السنة، وعن أبي الشيخ في العظمة، وعن السمرقندي.

لكن الكليني «رحمه الله»، روى عن عدة من أصحابنا، عن أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الله، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى (بن العبيد)، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عبدِ الله «عليه السلام» عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُه الَّتِي يُدْعَا بِهَا، وتَعَالَى فِي عُلُوِّ كُنْهِه، وَاحِدٌ تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيدِ فِي تَوَحُّدِه..

ثُمَّ أَجْرَاه عَلَى خَلْقِه، فَهُوَ وَاحِدٌ، صَمَدٌ، قُدُّوسٌ، يَعْبُدُه كُلُّ شَيْءٍ، ويَصْمُدُ إِلَيْه كُلُّ شَيْءٍ، ووَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً.

فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ فِي تَأْوِيلِ الصَّمَدِ، لَا مَا ذَهَبَ إِلَيْه الْمُشَبِّهَةُ: أَنَّ تَأْوِيلَ الصَّمَدِ الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَه، لأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ صِفَةِ الْجِسْمِ، واللهُ جَلَّ ذِكْرُه مُتَعَالٍ عَنْ ذَلِكَ.. هُوَ أَعْظَمُ وأَجَلُّ مِنْ أَنْ تَقَعَ الأَوْهَامُ عَلَى صِفَتِه، أَوْ تُدْرِكَ كُنْه عَظَمَتِه..

ولَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الصَّمَدِ فِي صِفَةِ الله عَزَّ وجَلَّ: الْمُصْمَتَ، لَكَانَ مُخَالِفاً لِقَوْله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ**﴾، لأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الأَجْسَامِ الْمُصْمَتَةِ، الَّتِي لَا أَجْوَافَ لَهَا، مِثْلِ: الْحَجَرِ، والْحَدِيدِ، وسَائِرِ الأَشْيَاءِ الْمُصْمَتَةِ الَّتِي لَا أَجْوَافَ لَهَا. تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الأَخْبَارِ مِنْ ذَلِكَ، فَالْعَالِمُ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ.

وهَذَا الَّذِي قَالَ «عليه السلام»: إِنَّ الصَّمَدَ هُوَ السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْه، هُوَ

مَعْنًى صَحِيحٌ، مُوَافِقٌ لِقَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الخ..[1].

ويبدو لنا: أن كلام الإمام «عليه السلام» ينتهي عند قوله: «ووَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً».. والكلام الذي بعده هو بحسب الظاهر من كلام الكليني «رحمه الله»، فليلاحظ ذلك..

وكأنه «رحمه الله» يريد: أن صفات الأجسام لا تنطبق عليه تعالى، لأنه ليس كمثله شيء، والجسم هو الذي يكون له جوف تارة، ويكون مصمتاً أخرى، كالحجر والحديد، فإن للأجسام طولاً وعرضاً وعمقاً.

ليس كمثله شيء:

ويلاحظ: أنه تعالى لم يقل: ليس مثله شيء.. بل قال: ﴿**كَمِثْلِهِ**﴾.

وقيل في وجه ذلك: أن المراد: ليس مثله شيء، وزيدت الكاف للتأكيد[2].

وإذا جاز لنا أن نتطفل بشيء هنا، فإننا نقول:

لعل المراد: أنه تعالى لا يريد أن يجعل الذات الإلهية هي الطرف الذي يراد نفي المثل له، لأن المفروض أن البشر يعجزون عن إدراك كنهها، ليقايسوا بينه وبين ما عداه. فعدل سبحانه في بيانه هنا إلى الحديث عن مثله الذي هو محض وهم، وافتراض، وتمحل، لينفي وجود شبيه لذلك المثل.. ليكون انتفاء

---

(1) الكافي ج6 ص96 والبرهان (تفسير) ج4 ص524 (ط دار الكتب العلمية ـ قم ـ إيران).

(2) الميزان (تفسير) ج18 ص26.

الشبيه عن الذي تعجز العقول عن إدراكه بطريق أولى..

وبعبارة أخرى: إن تصورنا لمثيل افتراضي أحد صمد، لا طول ولا عرض ولا عمق له، ويوصف بصفات الكمال والجلال، لو حصل في عالم الافتراض، فإنك لن تجد شيئاً مثله في المخلوقات في حالاتها وحقائق ذواتها وصفاتها الافتراضية.. وقد جاء في الحديث حول معرفة العبد بربه، وتصوره عنه، قوله «عليه السلام»: كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم[1].

فذلكات حداثوية:

وقد حاول البعض: أن يدخل إلى معنى الصمدية بطريق آخر، خلاصته: أن العلوم الحديثة تقول: إن كل ما في الكون من موجودات مادية يتكون من ذرات متناهية في الصغر، وكل ذرة تتكون من نواة وإلكترونات حولها، وبين النواة والإلكترونات مسافة كبيرة نسبياً.. فلو أزيلت هذه المسافة لصغرت الذرة إلى حد مدهش.. فلو صنعنا ذلك بأحد من الناس، ثم جمعنا هذه المواد لصغر حجم الإنسان إلى الحد الذي لا يرى إلا بواسطة المكبرات الضخمة، مع أن وزنه يبقى على حاله.

فزعم هذا القائل: أن وصفه تعالى بالصمد، ونفي الأجوفية عنه تعالى،

(1) بحار الأنوار ج66 ص293 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج1 ص110.

معجزة قرآنية، كأنه إلماح إلى وجود الجوف لكل جسم مكون من ذرات[1].

ولعله لأجل ذلك قال: الصمد بالألف واللام.. ربما ليدل على أنه هو الصمد الحقيقي دون سواه.

ونجيب:

أولاً: إن هذا معناه: أن لا يصح إطلاق وصف الصمدية على غير الله تعالى.. لأن المفروض هو: أن جميع الكائنات جوفاء، وليس فيها أي مصمت، مع أن الناس يطلقون لفظ الصمد، ولفظ الأجوف والمصمت على الأشياء التي تحيط بهم.

ثانياً: إن الأجوفية بهذا المعنى الحداثوي مما لا يدركه الناس، وإنما تستعمل الألفاظ العربية بما لها من معاني عرفية يعرفها الناس ويدركونها، وتنالها أفهامهم، وأوهامهم.

ثالثاً: إن وصف الأجوف والمصمت إذا كانا من أوصاف الأجسام، ولا يمكن وصف الله تعالى بصفات الجسم، فقد حسم الأمر في معنى الصمد الذي يوصف به الله، إذ يجب أن يكون بمعنى من يُقْصَدُ في الحاجات والمهمات، أو الذي هو في غاية العظمة والسؤدد، أو القائم بنفسه، الغني عن غيره.. فإن هذه الأوصاف ليست من أوصاف الأجسام لكي يمتنع إطلاقها على الباري تعالى.

(1) الأمثل (تفسير) ج20 ص501 و 502.

وأما صفة المصمت، فهي صفة الجسم، وصفة الأجوف أيضاً صفة للجسم، فلا يصح وصفه تعالى بهما، ولا بما يكون بمعناهما.

لماذا عاد لفظ الجلالة؟!:

وقد قال تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾، فيرد سؤال: قد كان يمكن أن يقول: «هو صمد» أو يقول: «الله أحد صمد»، فلماذا أعاد لفظ الجلالة مرة أخرى؟!

ويجاب:

أولاً: إن التخلي عن لفظ الجلالة قد يُضيِّع معنى يراد بيانه، وهو معنى تخصيص الصمدية الحقيقية به تعالى.. لأن الذي لا تتناهى فيه معاني الكمال، والغنى، وسائر صفات الجمال هو الله تعالى، وهو الذي يصمد إليه كل شيء.

فحصر الصمدية الحقيقية فيه، المنطلقة من الغنى الذاتي هو المطلوب هنا.

وإذا أطلقنا الصمدية على غيره، فإنما هي صمدية بالغير، لا بالذات.. ولا تدل على واجدية المصمود إليه، ولا على غنى، ولا على كمال، أو جمال، ولا تشير إلى علم، أو قدرة أو رحيمية، أو كرم، أو عظمة، أو سؤدد.

فظهر: أن الله هو الأحد المتفرد في حقيقة ذاته، والصمد المتفرد في صفات فعله. وإن أطلقت هذه الصفات على غيره، فلا يعني: أن غيره يكافئه فيها.. بل تكون أشبه بالإطلاقات المجازية، التي تعتمد التوسع في الإطلاق، مع مزيد من الادعاء.

ثانياً: أجاب العلامة الطباطبائي «رحمه الله» عن ذلك بقوله:

«فالظاهر: أن ذلك للإشارة إلى كون كل من الجملتين وحدها كافية في

تعريفه تعالى، حيث إن المقام مقام تعريفه تعالى بصفة تختص به، فقيل: الله أحد، الله الصمد، إشارة إلى أن المعرفة به حاصلة، سواء قيل كذا، أو قيل كذا.

والآيتان مع ذلك تصفانه تعالى بصفة الذات، وصفة الفعل جميعاً، فقوله: ﴿اللهُ أَحَدٌ﴾.. يصفه بالأحدية التي هي عين الذات، وقوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ يصفه بانتهاء كل شيء إليه، وهو من صفات الفعل»[1].

ثالثاً: إن كلمة «الصمد» تؤكد معنى الأحدية، وتحققه، فلا ضرورة للواو، لأن التأكيد بدونه يكون أظهر وأبين لما فيه من معنى اللصوق والاندماج والوحدة، لأن العطف يشي بالتغاير..

وكل ما تقدم يوضح لنا السبب في عدم وجود واو العطف بين **﴿اللهُ أَحَدٌ﴾**، و **﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾**..

أما بالنسبة لعدم وجود واو العطف بين قوله: **﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾** ، وقوله: **﴿لَمْ يَلِدْ﴾**، فيجاب عنه بما يلي:

تقدم في الرواية عن أهل البيت «عليهم السلام»: أن لم يلد ولم يولد الخ.. تفسير للصمد.. فلا حاجة إلى العطف، بل العطف يوهم المغايرة، فإن الصمد هو الغني المطلق بصفاته وكمالاته، والذي يلد ويولد وله كفؤ لا يكون غنياً، ولا جامعاً لجميع صفات الكمال والجمال، إذ لو كان يلد لاحتاج

(1) الميزان (تفسير) ج20 ص388.

إلى صاحبة.. قال تعالى: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ**﴾[1].. ويجب أن تكون الصاحبة مجانسة له.. مع أنه لا يوجد حقيقة ثانية تسانخ الحقيقة الإلهية.

أما الحاجة إلى الواو في الجمل الثلاث الأخيرة، فلأنها تتحدث عن مفردات معينة من صفات الفعل التي دلت عليها صمديته تعالى.. وهي تختلف في معانيها ومراميها، فتحتاج إلى العطف بالواو، كما هو معلوم.

---

(1) الآية 101 من سورة الأنعام.

الفصل الرابع:

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

لَمْ يَلِدْ:

ونصل إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ التي تقدم: أن بعض الروايات تجعلها وما بعدها إلى آخر السورة تفسيراً للصمد.. فنجد: أن في الروايات أيضاً تفسير هذه الجملة: بأن المقصود بها: كل نشوء شيء من شيء، كالثمر الذي ينشأ من الشجر..

بل المراد: كل خروج من شيء والانتساب إليه، كخروج الماء والنبات، والشجر من الأرض أيضاً..

وإن كان المراد هو نفي الولادة بالمعنى المتعارف، الذي يكون نتيجة وجود صاحبة، وحصول تواصل.. فالأمر يكون أوضح وأصرح، فإن هذا من صفات المخلوقين..

والمفروض: أنه تعالى متفرد في حقيقة ذاته، فلا شبيه له ولا نظير.

معنى الولادة في رسالة الحسين ×:

والرواية التي أشارت إلى التوسع في معنى الولادة هي التالية:

عن الإمام الباقر «عليه السلام»: «أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي «عليهما السلام» يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فلا تخوضوا في القرآن بغير علم، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار..

وإن اللهَ سبحانه وتعالى قد فسر الصمد فقال: ﴿اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾ ثم فسره، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾..

لم يلد، لم يخرج منه شيء كثيف، كالولد، وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا تنشعب منه البدوات، كالسِّنَة، والنوم، والخطرة، والوهم، والحزن، والبهجة، والضحك، والبكاء، والخوف، والرجاء، والرغبة، والسآمة، والجوع، والشبع، تعالى الله عن أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء، كثيف أو لطيف.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: لم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء، كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار..

ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، وكالنار من الحجر.

لا، بل هو الله الصمد، الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء

بمشيته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه.

فذلكم اللهُ الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة، الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد»(1).

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ:

ولا نريد أن نأخذ على عاتقنا هنا مهمة شرح هذه الرسالة المباركة، مع أنها على درجة كبيرة من الأهمية.. ولكننا نكتفي ببعض ما نظن أننا بحاجة إلى لفت النظر إليه مما يظهره سياق الكلام، الذي أردنا أن يهيمن على طريقة التعاطي مع مضامين السورة المباركة، فنقول:

قال تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾ والولادة تعني الانفصال للبعض، والتبعيض يقتضي وجود أمـور متصلة، وأجزاء مترابطة، فيلزم التركيب في الذات الإلهية.. والتركيب يشير إلى حاجة كل جزء إلى الجزء الآخر، والصمد لا يحتاج إلى شيء..

أولاً: لو كان يولد كان يحتاج إلى من يتولد منه، وقد قال تعالى في هذه السورة ﴿**وَلَمْ يُولَدْ**﴾..

ثانياً: إذا كان يولد لا يكون متفرداً، بل يكون مثل الذين يولدون، ولا تكون له ميزة عليهم من هذه الجهة.

ثالثاً: إذا كان يولد، فهو لم يكن منذ الأزل، لأن له بداية، وهناك من سبقه.

(1) البرهان (تفسير) ج4 ص525 وبحار الأنوار ج3 ص224.

وهذا أيضاً نقض لمعنى الأحدية، الذي هو التفرد في الغنى المطلق، وفي جميع صفات الكمال.

ونقض لمعنى الصمدية أيضاً.

كما أن من يولد يكون محدثاً، لم يكن ثم كان، كما أنه يفقد صفة الأول.

لماذا لم؟!:

وقد قال تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾، ولم يقل: لا يلد ولا يولد.

ولعل من أسباب ذلك: أن كلمة «لم» في قولك «لم يلد» تدل على أن من تنفي كلمة «لم» الولادة عنه أمر موجود، ويخبر عنه: بأنه لم يتصف بهذا الوصف..

ولو قلت: «لا يلد»، فلا شيء يدل على أن من يراد نفي الولادة عنه بـ «لا» موجود أصلاً.. لاحتمال أن يكون الكلام عن معنى تصوري ذهني لم يوجد بعد.

ولعلك تقول: إن الكلام في الآية هو إن ذات الباري، المفروض أن وجوده مفروغ عنه..

ونجيب:

أولاً: هناك من ينفي وجوده تعالى.

ثانياً: الكلام بحسب ما تفرضه المحاورات اللسانية، لا بحسب الاعتقاد الديني لدى هذه الفئة أو تلك.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ:

ثم عطف قوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ بالواو أيضاً، وذلك لما قدمناه،

من أن هذه الأمور الثلاثة بصدد بيان أمور مختلفة، هي مفردات من مصاديق معنى الصمد. وإن كانت كل واحدة من هذه الجمل لها وظيفة تختلف فيها عن الأخريات.. فإن ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾، تختلف في خصوصيات معناها ولوازمه وحالاته عن قوله: ﴿**وَلَمْ يُولَدْ**﴾، وهما يختلفان في ذلك عن قوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.. وإن كانت تلتقي كلها في معنى الصمدية.

وهذا يؤكد على أن ثمة حاجة إلى عطف هذه الجمل بالواو.

ما المراد بالكفؤ؟!:

المراد بالكفؤ: المعادل، والنظير في القدر والمنزلة.

بل قد يقال: إنه يتعدى ذلك إلى ملاحظة الكفاءة والمعادلة في حقيقة الذات، والمماثلة في الصفات، والأفعال أيضاً، فيراد في هذه السورة المباركة نفي وجود كفؤ له تعالى في ذلك كله.. ليكون حاصل المعنى: أنه لا معادل ولا كفؤ له في الأحدية، والصمدية معاً.

ولعلك تقول: لماذا قال: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ ولم يقل: ليس له كفؤ، أو لا كفؤ له؟!

ويجاب:

بأنه لو قال: ليس له كفؤ، أو لا كفؤ له، فلربما فهم منه بعض الناس: أن المراد نفي وجود الكفؤ له تعالى فعلاً، ولا يريد نفي ذلك في الماضي والمستقبل، بل بقي فيهما مسكوتاً عنه.

وقد يقال أيضاً: إن كلمة «لم» تنقل معنى المضارع إلى الماضي. فتصير هذه الجملة ساكتة عن الحال والاستقبال، فيعود الإشكال المتقدم جذعاً.

ونجيب:

بأن قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾، كأنه من قبيل إيراد الدعوى مع دليلها، باعتبار: أنه تعالى أزلي لا أول له، فحين نقول: لم يكن، فذلك يعني: أنه لا يمكن أن يكون له كفؤ في أي من آنات الماضي، إذ لو كان له كفؤ لم يكن متفرداً، ولم يكن هو الأول، ولم يكن أزلياً، بل كان مسبوقاً بالعدم..

فإذا ثبت أنه الأول والأزلي، والمتفرد في كل الكمالات في جميع آنات الماضي، فذلك يعني: أنه لا يمكن أن يوجد له كفؤ في الحال وفي المستقبل، لأن كل من يأتي في هذين الزمانين: الحال والاستقبال مسبوق بالعدم.. وسيكون محتاجاً إلى علَّة موجدة.. ولن يكون له صفة الأول، والأزلي.. فكيف يكون كفؤاً لمن ثبتت له هذه الصفات، وثبت له التفرد فيها في جميع الآنات الماضية، حتى اتصلت بالحال، والممتدة إلى الاستقبال؟!

فلا نحتاج بعد هذا إلى نفي الكفؤ له تعالى، بل هو منتفٍ بصورة طبيعية، لأن وجود المكافئ في الحال والاستقبال يحتاج إلى موجد، فيكون مسبوقاً بالعدم، فلا يكافئ من ليس كذلك.

غير أن بعض الإخوة الأكارم يقول:

ويمكن أن يقال: إنه ما دام الحديث عن واجب الوجود الأزلي، السرمدي، فنفي الكفؤ له بـ «لم» يتجرد عن معنى الماضي، إذ مثله لا ماضي له ولا مستقبل، أو حالة حاضرة فعلة، ومثله موجود فوق كل الزمان، فمعنى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾: أنه ليس له بحسب حال وجوده، وثبوته الأزلي

السرمدي موجود يكافئه.. فيدل على نفيه على الإطلاق، وفي كل زمان موهوم، فليتدبر.

ونجيب:

بأن هذا لو تم لم يبق فرق بين «لا» و «لم».. فإن الحديث فيهما إنما هو عن واجب الوجود الأزلي السرمدي، الذي يتجرد نفي الكفؤ له عن الحال، والاستقبال أيضاً، لسقوط الزمان بالنسبة إليه تعالى..

ونحن إنما نتكلم عن الألفاظ بحسب دلالاتها المعهودة، بغض النظر عن الدقائق الخارجة عن سياق الفهم العرفي لمعاني الألفاظ.

لم يقل: لم يكن أحد كفوأً له:

وقد رأينا: أن اسـم يكن قد أخر إلى ما بعد خبرها، كما أن كلمة «له» المتعلقة بالخبر الذي هو كفؤ قد تقدم على الإسم والخبر معاً..

مع أنه كان يمكن أن يقول: «ولم يكن أحد كفؤاً له».. فإن هذا هو التركيب السهل والطبيعي، لأن من الطبيعي أن يتقدم اسم كان على خبرها، وأن يتأخر الجار والمجرور على متعلقه.

ويجاب:

بأن الآية تريد أن تنفي وجود كفؤ له تعالى. أي أن المقصود هو نفي الكفاءة الافتراضية، أو المتوهمة، ولا يريد نفي الأحد الموصوف بالكفاءة.

ولأجل ذلك قدَّم كلمة كفؤ، لكي ينصبَّ النفي عليها بالدرجة الأولى.. وإذا قدمت الكفاءة، فمن الطبيعي: أن يتقدم أيضاً الجار والمجرور المتعلق بها.

وحفظاً للأدب مع الله، فإن المناسب تقدم كلمة «له» على كلمة كفؤاً، لأن كلمة «له» تحمل معها ضميراً يعبر عن الذات الإلهية..

فالأدب، والتكريم، وإظهار مزيد من الاهتمام بالذات الإلهية، وليصبح المقصود أكثر وضوحاً.. اقتضى تقديم الجار والمجرور على متعلقه، لاسيما وأن الذات الإلهية هي محور آيات السورة كلها، بدأً من الأحدية، مروراً بالصمدية، ثم بالآيات المفسرة لها.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين.

الجمعة 1437/10/17هـ ق - 2016/7/22م. ش.

عيثا الزط (عيتا الجبل) ـ جبل عامل ـ قضاء بنت جبيل ـ لبنان

جعفر مرتضى العاملي

كلمة أخيرة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فقد كان ما تقدم، هو عمدة ما ذكرناه في مجلس أسبوعي لنا مع بعض الإخوة الأكارم.. وقد استخرج من أشرطة التسجيل، وأعيد النظر فيه، وتعقبته يد تحمل القلم بالتقليم والتطعيم، والتصحيح والتوضيح.. على أمل أن يجد القراء الكرام فيه بعض ما ينفع، أو يفيد..

والله نسأل أن يعيننا على أنفسنا، وأن يعفو عن سيئات أعمالنا، ويغفر لنا خطايانا.. إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير..

حرر بتاريخ 1437/10/17هـ ق - 2016/7/22م. ش.

جبل عامل ـ لبنان

جعفر مرتضى العاملي

الفهرس

تقديم: 7

الفصل الأول: شأن النزول.. وأين نزلت 12

شأن نزول سورة التوحيد: 14

ماذا يريد المشركون من آلهتهم؟!: 20

سورة القيامة فضحتهم: 23

سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: 24

الفصل الثاني: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ.. 27

بداية: 29

قُلْ هُوَ: 34

اللهُ أَحَدٌ: 36

بين أحد وواحد: 37

المتفرد في ذاته وصفاته: 38

وجهان يثبتان، ووجهان لا يجوزان: 39

الفصل الثالث: اللهُ الصَّمَدُ. 42
اللهُ الصَّمَدُ: 44
الصمد: الذي لا جوف له:.. 46
ليس كمثله شيء: 48
فذلكات حداثوية: 49
لماذا عاد لفظ الجلالة؟!:... 51
الفصل الرابع: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ 55
لَمْ يَلِدْ: 57
معنى الولادة في رسالة الحسين ×:................................ 57
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ:.. 59
لماذا لم؟!: 60
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ: 60
ما المراد بالكفؤ؟!: 61
لم يقل: لم يكن أحد كفؤاً له: 63
كلمة أخيرة: 65
الفهرس... 67